مجلة الحكمة للدراسات التاريخية ISSN : 2353-0472
المجلد5، العدد11، (سبتمبر2017) EISSN : 2600-6405

النشاط الاصلاحي للشيخ عبد الحليم بن سماية 1866- 1933

الأستاذ: مراد بن حمودة
جامعة الجيلالي اليابس – سيدي بلعباس-
المخبر: الجزائر تاريخ ومجتمع

ملخص :

نتناول من خلال هذا المقال شخصية الشيخ عبد الحليم بن سماية ونشاطه الإصلاحي في الجزائر نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، فهذا العلامة الذي قضى حياته بين التعليم في المدرسة والمسجد، حوالي أربعة عقود في الدعوة إلى العلم والمعرفة رغم الضغوطات الفرنسية كما تجلى دور الشيخ عبد الحليم بن سماية في تزعم التيار الرافض للتجنيد الاجباري ووقوفه سدا منيعا ضد تطبيقه، ويعتبر الشيخ من المصلحين الأوائل حيث اجتهد في ربط جسور التواصل العلمي والثقافي مع الجامعة الإسلامية وأقطابها، وترك لنا الشيخ عبد الحليم بن سماية بعض المؤلفات ولو أنها قليلة بسبب تركيزه تام على الجهاد في التعليم والتربية، وكتب في المجلات و الجرائد الجزائرية والعربية في مواضيع شتى سياسية واجتماعية وكذلك في الأخلاق.

Abstract:

In this article, we discuss the personality of Sheikh Abdelhalim Ben Smâïa and his reformist activity in Algeria at the end of the nineteenth and early twentieth centuries. This is the sign that spent his life between education in the school and the mosque, about four decades in the call to science and knowledge despite the French pressures. The role of Sheikh Abdelhalim Ben Smâïa was also demonstrated in the leadership of the current rejection of compulsory recruitment and stand The Sheikh is one of the early reformers where he endeavored to link the bridges of scientific and cultural communication with the Islamic University and its poles. Sheikh Ben Smâïa left us some writings, although few because of his full focus on competition in education. He wrote in magazines and newspapers Algerian and Arab political, social and moral issues.

ISSN : 2353-0472
EISSN : 2600-6405

مقدمة :

عاشت الجزائر أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين انحطاطا فكريا وثقافيا كبيرا، بسبب السياسة الفرنسية التعسفية والاضطهاد الذي مارسته على الشعب من كل الجوانب منها الجانب التعليمي، فاختفت المراكز العلمية والمدارس فأصبح المعمرون هم المسيطرون على مصدر القرار بينما أصبح الجزائري يعيش في بلاده على الهامش، فهاجرت أغلب العائلات الجزائرية الكبيرة ذات النفوذ المالي والعلمي، وانتشر العلماء الجزائريون في الأقطار المجاورة مثل تونس والمغرب وحتى المشرق العربي سواء كانت هذه الهجرة طواعية أو نفي من طرف السلطات الفرنسية، فاختل التوازن في الجزائر وانتشر الجهل في المجتمع. لكن هناك فئة قليلة من العلماء قهرت الصعاب وتكيفت مع الأمور وبقيت تناضل وتجاهد في بلادها وهم الذين سيقودون بوادر النهضة في الجزائر والتي يمكن تسميتها بالنخب التقليدية المصلحة من بينهم الشيخ عبد الحليم بن سماية، الذي آثر البقاء في بلاده لتعليم شعبه وتثقيفهم على الهجرة، فيا ترى ما هو الدور الذي لعبه الشيخ عبد الحليم بن سماية وكيف كان منهجه ونشاطه في اصلاح المجتمع الجزائري ؟ وما هو موقفه من فكر الجامعة الاسلامية وانتشاره في الجزائر ؟.

1- مولده ونشأته:

هو عبد الحليم بن علي بن عبد الرحمن بن حسن خوجة من آل بن سماية ولد في 15 جويلية 1866 بالعاصمة من عائلة مشهورة بالعلم والمعرفة[1]، تعتبر أسرة بن سماية من الأسر التركية العريقة بالعاصمة وتعود أصولها إلى مدينة أزمير التركية، ونشأ الطفل عبد الحليم في بيئة علمية فأبوه هو علي بن سماية رجل مثقف ثقافة عربية إسلامية، ويعتبر من علماء تلك الفترة حيث شغل منصب التدريس بالمساجد أمثال جامع السفير والجامع الجديد بالعاصمة تدعى خديجة وخداوج من آل مصطفى بن الكبابطي آخر الذين تولوا الافتاء على المذهب المالكي في عهد الأتراك[2]، وبفضل البيئة الثقافية والعلمية المساعدة نشأ عبد الحليم نشأة إسلامية فاعتنى والده بتربيته وحبب إليه العلم، وعلى غرار كل

[1] - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج3، ط 1، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1998، ص 93.

[2] - عبد الرحمان الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج4، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982، ص- ص، 403- 404.

أقرانه في تلك الفترة دخل منذ الصغر إلى الكتاتيب، فحفظ القرآن في فترة قصيرة[1] في كتاب بحي القصبة يعرف بجامع "بالرقيسة" أو "ابن رقيصة" على يد إمام الجامع في تلك الفترة الشيخ حسن بوشاشية[2]، وعند الانتهاء من حفظ القرآن يتوجه طالب العلم إلى العلوم الأخرى، وبما أن والده يعتبر من علماء تلك الفترة فقد تولى هو بنفسه تدريس إبنه على الطرق الحديثة، والتي لا توجد في الجزائر فقد شاهدها هو بنفسه في رحلته مع جده الكبابطي إلى مصر، فأتقن في معهده العلوم العربية والشرعية كما علمه أبوه أولى طرق النجاح في العلم وهي الاعتماد على نفسه في تحصيل العلم وعدم الاتكال على والده فقط، فوجد في خزانة أبيه من الكتب النفيسة في كل المجالات، فكان والده يتولى عملية توجيهه في قراءة نفائس الكتب وهو ما سيجعله عالما ناضجا ذا فصاحة وبلاغة، وذو شخصية اجتماعية قوية غيورا على الدين والوطن[3].

اعتمد عبد الحليم بن سماية على الطريقة التقليدية في تحصيل العلم، وذلك بالبحث على طرق الأسانيد والإجازات فتوجه في رحلة علمية فلازم مشايخ وقته وعلماء بلده في تلك الفترة مثل (الشيخ علي بن الحاج موسى والشيخ محمد القزداري والشيخ علي ابن الحفاف[4]والشيخ ابن ظاهر الوتري المدني والشيخ قدور أباصوم والشيخ طاهر أقيطوس) وحضر دروس الشيخ محمد سعيد ابن زكري وغيرهم، فأخذ عن هؤلاء فنونا من العلم في اللغة وآدابها وعلوم الشريعة وفنونها، كما أنه تلقى الحساب والفرائض على

---

[1] - نفسه، ص 107.

[2] - مجلة التلميذ، صفحة من حياة شهيد العلم وفقيد الاسلام العلامة الأكبر الاستاذ الشيخ عبد الحليم بن سماية ، السنة الثانية، ع 3-4، جانفي - فيفري 1933، ص 11 .

[3] - محمد علي دبوز، المرجع السابق، ص- ص، 107- 108.

[4] - علي بن الحفاف : فقيه الجزائر وعالمها وخطيبها ولد سنة 1307 هـ أخذ العلوم علي يد القطب إبراهيم الرياحي، قال عنه محمد بيرم في كتابه صفوة الاعتبار بمستودع الأمصار والأقطار أنه من الأخيار الذين اجتمع بهم والذين يمتازون بالعلم والأخلاق، وأدركه الاستعمار في ريعان شبابه نصحه شيخه بالبقاء والجهاد على الهجرة، فإلتحق بجيش الأمير عبد القادر فعينه كاتبه الخاص كما ولي الافتاء بمدينة البليدة، من مؤلفاته الدقائق المفصلة في تحرير آية البسملة، ومنة المتعال في تكميل الاستدلال، وبهجة البسط والأنس في شرح الكلمات الخمس توفي سنة 1890هـ ينظر: أبوالقاسم الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، مطبعة بيير فونتانة الشرقية، الجزائر، 1906، ص 160. أيضا ينظر: محمد بسكر، أعلام الفكر الجزائري من خلال أثارهم المخطوطة و المطبوعة، ج 1، دار كرداده، المسيلة – الجزائر، 2013، ص- ص، 446– 447.

يد صهره الشيخ علي بن حمودة، وعلم الربع المجيب في الفلك والتوقيت ومواقفا العضد كلاهما عن الشيخ أبوالقاسم الحفناوي وعلم الإسطرلاب علي يد الأستاذ عارف بك[1]، ويذكر لنا عبد القادر بن بدران الدمشقي أن بن سماية كان من بين تلامذته فقد قرأ عليه كتاب " المنهل الصافي " ونحن لا نعلم متى توجه بن سماية إلى الشام أو مصر أو متى كان التواصل بين الشيخ وبين العالم بدران الدمشقي،[2] إذ يذكر الشيخ بدران أنه رافق الأمير عبد القادر في رحلة زار فيها العديد من بلدان منها الجزائر، يمكن يكون أنه في هذه الرحلة حدث هناك تواصل بين عبد الحليم والشيخ بدران لقاء شخصي أو من خلال مراسلات تمت بينهم فقط فيما بعد[3]، وتتلمذ أيضا على يد الشيخ محمد بن عيسى الجزائري في تونس بالإضافة إلى ذلك فقد تتلمذ على يد الشيخ المكي بن عزوز المقيم في تونس وبهذا نشأ بن سماية وكون نفسه على يد شيوخ كثر صنعوا شخصية عبد الحليم فأصبح عالما من علماء الجزائر مع نهاية القرن العشرين[4].

2-النشاط الإصلاحي في مجال التعليم:

2 – 1 : التعليم في المدرسة : بعد أن ذاع صيته بين الناس وأصبحت دروسه يحضرها الكثير من الناس قررت السلطات الفرنسية احتواء الشيخ بن سماية، وذلك من خلال دعوته إلى التدريس في المدرسة الحكومية يوم 4 ديسمبر 1896، وهي سياسة تستعملها فرنسا لاحتواء جميع العلماء الذين تلمس فيهم الفطنة والغيرة على الوطن، وبدوره قبل بن سماية التدريس في هذه المدرسة بسبب وجود عدد كبير من المسلمين في هذه المدرسة،

---

[1] - مجلة التلميذ، المصدر السابق، ص 12.

[2] - عبد القادر بن بدران الدمشقي : هو عبد القادر بن أحمد بن مصطفى المشهور بإبن بدران ولد سنة 1280 هـ بدومة تعلم مبادئ القراءة في بلدته، ثم هاجر في رحلة لطلب العلم تتلمذ على يد محمد بن عثمان الحنبلي المشهور بخطيب دوما، وفي دمشق أخذ العلم على يد عالمها شيخ الشام سليم بن ياسين العطار الشافعي، وأخذ عن العلامة محمد بن مصطفى الطنطاوي الأزهري، بالإضافة إلى الكثير من علماء عصره، كما يذكر أنه اتصل بالأمير عبد القادر ورافقه في رحلة إلى أوربا زار فيها ايطاليا و فرنسا والمغرب العربي حيث زار الجزائر و تونس و المغرب دامت ستة أشهر. ينظر: محمد بن ناصر العجمي، علامة الشام عبد القادر بن بدران الدمشقي حياته و آثاره، ط1، دار البشائر الإسلامية، بيروت، 1996، ص- ص، 8– 14.

[3] - نفسه، ص 62 .

[4] - عبد الرحمن الجيلالي، المصدر السابق، ص 406.

بالإضافة إلى نظامها العصري في التدريس، فأدرك أن دوره يكون أكثر فاعلية وتأثير في الجيل الجديد في المدرسة أكثر من أن يكون خارجها فهم نخبة المستقبل، وفي مقابل ذلك أنه إذا لم يقبل بالوظيفة الرسمية فإن السلطات الفرنسية سوف تضيق عليه نشاطه، وبذلك يكون مراقب ومستهدف ولن يستطيع إذا توصيل رسالته إلى هذا المجتمع المغلوب على أمره، فانخرط فيها سنة 1896 وعمره آنذاك حوالي 30 سنة، وكان دور هذه المدرسة الحكومية تخريج الموظفين من القضاة والمترجمين قبل بناء المدرسة الثعالبية التي انتقل إلى التدريس فيها سنة 1905، وكانت هذه المدرسة خاصة باللغة العربية إلى أن قررت الحكومة الفرنسية إدخال اللغة الفرنسية فيها ليصبح التدريس مزدوج اللغة وذلك سنة 1906[1]، يدرس الشيخ بن سماية في القسم العادي مادة الأدب العربي وفي القسم العالي مادة المنطق والبيان والتفسير بالإضافة إلى الانشاء الأدبي[2].

بدأ الشيخ أولى عملية الإصلاح بإدخال كتب جديدة في عملية التدريس، فكان أول من قرأ عليهم دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة وتلخيص المفتاح والاقتصاد في الاعتقاد وغيرها من الكتب، وهي من أجل الكتب المعترف بها عند المحققين، ويدرس في القسم الرابع منها ألفية بن مالك بشرح بن عقيل أو شرح الأشموني والعقد الفريد أو نهج البلاغة، وبالقسم الخامس المفصل للزمخشري ورسالة التوحيد لمحمد عبده،[3]كما اشتهر بن سماية رفقة مدرسين آخرين أمثال عبد القادر المجاوي[4] في المدرسة وذاع صيتهما في المدرسة، بحب

---

[1] - محمد علي دبوز، المرجع السابق، ص- ص، 108- 109.

[2] - المبشر، 26 ديسمبر 1896. نقلا عن: أبوالقاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ص- ص، 389- 390.

[3] - مجلة التلميذ، المصدر السابق، ص 12.

[4] - عبد القادر المجاوي: هو ابن عبد الله بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الرحمن بن عيسى بن داوود بن أبي حناش، ولد في تلمسان سنة 1948 وبها قرأ القرآن، وانتقل إلى تطوان لتلقي العلم علي يد أحمد النجار والشيخ الطيب اليعقوبي، ثم انتقل إلى فاس فدخل جامع القرويين وتتلمذ على يد العديد من مشايخ فاس، وأخذ منهم علوم النحو والتصريف والفقه وأصوله، ثم عاد إلى الجزائر 1869 واستقر في قسنطينة، وفي سنة 1873 عينته السلطات الفرنسية مدرسا بجامع سيدي الكتاني، وفي سنة 1877 عين للتدريس بالمدرسة، وبحلول سنة 1898 نقلته السلطات الفرنسية إلى الجزائر وعينته بالمدرسة العليا، كما منح الإمامة والخطابة بجامع سيدي رمضان وذلك سنة 1908، له العديد من المؤلفات نذكر البعض منها : إرشاد المتعلمين، شرح شواهد بن هشام المرصاد في مسائل الاقتصاد توفي سنة 1913 في قسنطينة مع ثلاثة عشر عالم من علماء الجزائر سممتهم فرنسا مع قرب اندلاع الحرب

التربية والتعليم فأصبحت دروسهما محل متابعة من طرف عدد كبير من الطلبة وذات إقبال واسع، بعد أن كانت من قبل مهجورة فبفضل هذين العالمين الجليلين الذين بثا الحياة في هذه الدروس، والتي كان يحاول الاستعمار جعلها دروس ميتة وتتسم بالملل والنفور من الطلبة، فأصبحت عكس ذلك بسبب براعتهما في القاء الدروس وفصاحتهما وشخصيتهما القوية، ومكث الشيخ في المدرسة إلى أن أصيب بمرض في أواخر عمره فأحيل بسببه على التقاعد[1].

2 – 2 : التدريس في المسجد: بالإضافة إلى ذلك أسندت إلى الشيخ بن سماية خطة التدريس بالجامع الكبير في أكتوبر 1900 مكان والده المرحوم علي بن سماية، حيث استطاع بن سماية التوفيق بين الوظيفتين واجتهد في تنظيم الوقت، فخصص إثنا عشر ساعة للمسجد وأربعة عشر ساعة للمدرسة في الأسبوع، وكانت دروسه في المسجد تتمحور حول علوم اللغة والشريعة والمنطق، أما في الفقه وبما أنه حنفي المذهب فإن دروسه تعتمد على كتب (الشرنبلالي والقدوري والطحطاوي وابن عابدين والنسفي)[2]والشيء الملاحظ في عبد الحليم بن سماية أنه إذا إستشاره أحد العامة حول كتب الفقه فإنه كان ينصحهم بقراءة رسالة أبي محمد بن زيد القيرواني المالكي رغم أنه حنفي المذهب، وسرد لنا أحد تلامذته وهو عبد الرحمان الجيلالي بعض الكتب التي كان الشيخ يقرؤها عليهم مثل ورقات إمام الحرمين في الأصول وتفسير سورة البقرة بالجواهر الحسان للثعالبي، كما يخبرنا عبد الرحمان الجيلالي أن دروس شيخه تميزت بالفصاحة والألفاظ الفخمة، ويرجع السبب حسبه إلى غزارته اللغوية بسبب مطالعته لمعجم لسان العرب ولا يستعمل العامية إلا نادرا في بعض النوادر والحكايات[3].

العالمية الأولى خوفا من ثورتهم. ينظر: التقويم الجزائري، محمود كحول، مطبعة فونتانة، الجزائر، سنة 1911، ص- ص، 104– 107. أيضا ينظر: محمد علي دبوز، المرجع السابق، ص- ص، 82– 105.

[1] - محمد علي دبوز، المرجع السابق، ص- ص، 109، 110.

[2] - هذه الكتب هي: نور الايضاح ونجاة الأرواح لمؤلفه الشرنبلالي حسن بن عمار، مختصر القدوري في فقه الحنفي لمؤلفه أبي الحسن أحمد بن ممد القدوري، حاشية الطحطاوي لمؤلفه أحمد بن محمد الطحطاوي، وأيضا كتاب رد المحتار على الدر المختار لمؤلفه ابن عابدين الدمشقي الحنفي، وكتاب كنز الدقائق في الفقه الحنفي لمؤلفة أبي بركات النسفي .

[3] - عبد الرحمان الجيلالي، جوانب من كفاح الشيخ عبد الحليم بن سماية السياسي و الثقافي 1866– 1933، مجلة الأصالة، ع 13، ص- ص، 205- 206.

حاول بن سماية التوفيق بين شيئين هامين أولهما العمل في المدرسة لتكوين جيل من الشباب المثقف في المستقبل، وثانيا العمل في المسجد ومحاولة تقديم دروس في التفسير وشرح الأحاديث للعامة وذلك لجعل عامة الناس دائما مرتبطين بالدين الاسلامي، حيث تذكر بعض التقارير أن درسه في الجامع كان يتكون من درسين عام وخاص، والفئة الحاضرة تتكون من عمال المسجد وبعض الخواص من أعيان المدينة إضافة إلى طلبة القسم العالي من المدرسة الثعالبية، وزيادة على ذلك فالدرس الخاص يحضره أيضا تلاميذ السنة الأولى والتلاميذ الأحرار المرشحون لدخول المدرسة، وبما أن بن سماية عمل في المسجد والمدرسة وهما كلاهما تحت وصاية السلطة الفرنسية ومراقبتها فيوجد لدينا تقريرين يصفاني لنا كيفية تدريس بن سماية، التقرير الأول لـ "ويليام مارسي" الذي كان سنة 1906 - 1907 والذي يصفه بفصيح اللسان وحرية الفكر وسلامة اللغة، وأن مستوى درسه في المسجد يساوي مستوى درسه في المدرسة[1]، وتوقيت عمل الشيخ بن سماية في مسجد صيد الأسماك من العاشرة وربع إلى الحادية عشر وربع، أما تقرير 1912 فدروس الشيخ تقام كل يوم من الساعة العاشرة إلى الحادية عشر ماعدا يومي الجمعة والسبت بالنسبة للدروس العامة، أما بالنسبة للدروس الخاصة فخصص لها يومي الثلاثاء والأربعاء من الساعة الرابعة للخامسة، ويتراوح عدد الحضور في الدروس العامة بين عشرة وستة وثلاثون شخص، وبالنسبة للدروس الخاصة فكان يحضرها خمسة عشر شخص بشكل منتظم، وكانت المواد التي يدرسها الشيخ في الدروس العامة هي شرح الأحاديث وتفسير سور من القرآن، وبالنسبة للدروس الخاصة فمواد تدريسها هي نصوص من كتاب المستظرف ومن كتب الفوائد[2].

قدم الشيخ بن سماية دروس كثيرة في الوعظ والارشاد والتفسير في الجامع الكبير، حيث يذكر لنا محمد الخضر حسين عند زيارته للجزائر سنة 1904 أنه اجتمع بالشيخ بن سماية وحضر دروسه في الجامع الكبير، منها تناوله مبحث صفة الكلام من كتاب الصغرى للسنوسي فوضح معناها وأقام عليها الحجة بصوت جهوري ولسان فصيح، وبعدها صلى بهم صلاة العشاء واستغرب الشيخ محمد الخضر أن بن سماية يجهر

[1] - أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص- ص، 95- 96.

[2] - عبد الحميد زوزو، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر الحديث و المعاصر 1830 – 1900، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007، ص- ص، 232- 235.

بتأمين، فسأله في ذلك فأخبره بن سماية أنه يتبع رواية المدنيين لترجحها بالحديث الصحيح، وفي الجامع الذي أسسه مصطفى بن الأكحل ختم الشيخ بن سماية لكتاب التوحيد بسورة الاخلاص، بين فيها الشيخ كيف ينتزع منها العقائد الدينية وقد أعجب الشيخ محمد الخضر حسين بتفسير وطريقة تحليل بن سماية لدروسه[1].

ويمكن القول أن الشيخ عبد الحليم بن سماية رفقة باقي النخب التقليدية المصلحة أدرك أن التربية والتعليم سواء في المدرسة أو المسجد لهما دور كبير لتوعية الشعب الجزائري وأساس نهوضه، لذلك حاول إنشاء جيل يحافظ على اللغة العربية والدين الاسلامي في المجتمع الجزائري ومحاربة المشاريع الفرنسية داخليا يعني في المدارس التي أنشأتها السلطات الفرنسية، ويدرك الشيخ أن العلم هو السبيل الوحيد لتطور الشعوب وتحررها ولو بعد حين، أي محاولة صناعة جيل تكون له الكلمة فيما بعد وهو نفس المشروع الذي سوف تحاول جمعية العلماء المسلمين الجزائريين تطبيقه فيما بعد، هذه السياسة لن تنجح إلا إذا كان صاحبها يملك القدرات على ذلك، فالشيخ عبد الحليم بن سماية كان يملك جميع الصفات ليكون مدرسا بارعا ومعلما فذا ومربيا ناجحا، فقد أحب عمله في المدرسة ولا يشعر بالسعادة إلا وهو بين تلاميذه يلقي عليهم دروسه.

تيقن الشيخ بن سماية أنه إذا أراد تطبيق مشروعه الاصلاحي عليه أن يكون في مستوى تطلعات تلاميذه فكان غزير المادة في الفنون التي يدرسها، دائما يحضر في الموعد يتسم بالفكاهة والحماس في دروسه يحاول بهذه الصفات غرس الصفات الحسنة في تلاميذه والتربية الدينية، فهو يريد إخراج جيل من العلماء الصالحين ليحافظوا على الدين واللغة العربية وإذا أحس في التلميذ أنه لن ينصر دينه فيحاول توجيهه بكل الطرق، وإذا يأس منه يعمل على فصله من المدرسة لأنه يرى بأن الدين لا يجوز أن يرفعه الفاسدون لأن فرنسا سوف تستغلهم أحسن استغلال باسم الدين فيما بعد، فهو كان يحاول إخراج علماء ذوي الشخصيات القوية حماة للدين والوطن لا أن يكونوا عبئا

[1] - محمد الخضر الحسين و آخرون، خمس رحلات إلى الجزائر 1904 – 1932، تحرير وتقديم: محمد صالح الجابري، ط 1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر – بيروت، دار السويدي – أبوظبي، 2004، ص- ص، 35- 40.

عليه، كما اتسم منهج بن سماية بالتطبيق إذا أحس أن تلاميذه لا يفهمون الدرس مثل دروس الموسيقى فكان يحضر معه الآلات الموسيقية ويطبق أمام تلاميذه[1].

3 – نشاط بن سماية السياسي والاجتماعي:

يعتبر الشيخ عبد الحليم بن سماية من زعماء كتلة المحافظين التي كانت تضم العديد من الشخصيات سواء كانوا من العلماء والمحاربين القدماء وزعماء الدين وبعض الإقطاعيين والمرابطين، ومنهم من كان صحفيا أو ممثلين نيابيين معينين تعيينا أو دعاة لفكرة الجامعة الاسلامية، وينادون بالتقدم والتسامح والتعليم رافضين للتجنس والتجنيد الاجباري والتغيير على الطريقة الغربية وتمثل برنامج هذه الكتلة في : المساواة في التمثيل النيابي بين الجزائريين والمعمرين، المساواة في الضرائب والفوائد من الميزانية، والدعوة إلى الجامعة الاسلامية، معارضة التجنيس والتجنيد العسكري الإجباري، إلغاء قانون الأهالي وكل الاجراءات التعسفية، إسترجاع العمل بنظام القضاء الاسلامي، إحترام العادات والتقاليد الجزائرية، نشر وإصلاح وسائل التعليم، عدم إستعمال العنف، حرية الهجرة خاصة نحو المشرق[2].

تزعم الشيخ بن سماية جماعة المعارضين الرافضين للتجنيد الاجباري رفقة عمر بن قدور الجزائري وعمر راسم فقد ربطوا مسألة التجنيد بالهوية الوطنية والدين الاسلامي، رفض الشيخ بن سماية تطبيق هذا القانون على الجزائريين وهدد بالهجرة إن طبقت فرنسا هذا القانون، حتى أنه باع منزله وجميع أغراضه لولا وقوف سكان المدينة في وجهه فعدلوه عن رأيه[3] نشر عمر بن قدور الجزائري[4] في جريدة الحضارة فحوى الاجتماعات

---

[1] - محمد علي دبوز، المرجع السابق، ص- ص، 118– 120.

[2] - أبوالقاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، المرجع السابق، ص- ص، 145- 146.

[3] - عبد الرحمان الجيلالي، جوانب من كفاح عبد الحليم بن سماية، المقالة السابقة، ص- ص، 200- 201.

[4] - عمر بن قدور الجزائري: هو الصحفي والمفكر الجزائري ولد سنة 1886 يعتبر من أوائل الصحفيين في الجزائر ومن روادها حيث نشط كثيرا في مجال الصحافة من كتابة المقالات أو تأسيس الجرائد، كتب في عدة جرائد سواء كانت جزائرية أو تونسية أو مصرية منها صحيفة الهلال والفاروق في الجزائر والذي يعتبر هو مؤسسها أو المشير في تونس واللواء في مصر ناقش العديد من القضايا السياسية والاجتماعية وتوفي سنة 1932. ينظر: ساحل عبد الحميد، عمر بن قدور الجزائري رائد الصحافة في الجزائر، المؤسسة الوطنية للاتصال، الجزائر، 2014، ص- ص، 09- 14.

التي دارت حول التجنيد حيث يذكر أنه بعد العديد من النقاشات داخل المجلس البلدي، قدم رئيس المجلس البلدي لائحة الحكومة للأعضاء الستة المسلمين في المجلس البلدي ليبدوا رأيهم في مسألة التجنيد، فتحدث رئيسهم مصطفى بن الحاج موسى وأخبره أن المسألة في غاية الخطورة ولا يمكنهم إبداء رأيهم فيها بشكل صريح بل الرأي النهائي لأعيان المدينة، فقررت السلطات الفرنسية إستدعاء أربعين رجلا من الأعيان المسلمين في العاصمة لسماع أراءهم بكل صراحة أمام المجلس البلدي من بينهم الشيخ عبد الحليم بن سماية.

وفي يوم الثلاثاء 25 جويلية 1911 في دار المجلس البلدي وبالتحديد داخل قاعة المفاوضات إجتمع المدعوون لهذا الاجتماع حضره من الجانب الجزائري العديد من أعيان الجزائر من بينهم الشيخ بن سماية ومفتي الحنفية الشيخ محمد بوقندورة، ومن الجانب الفرنسي رئيس الجلسة دوغلان (Deglane) بالإضافة إلى كبار الضباط وحكامها وحضره كذلك جمهور غفير، بدأت الجلسة بكلمة إفتتاحية لرئيسها تحدث فيها عن أهداف هذا الاجتماع وبأن الحكومة الفرنسية، تريد استشارة المجالس البلدية في أقطار الجزائرية في مسألة تجنيد أبناء المسلمين المراهقين تحت لوائها الحربي، ولما انتهى من كلمته قام الشيخ بن سماية من مكانه وتوجه إلى الجمهور وطلب منهم أن يسمحوا له بالكلام نيابة عنهم فوافق جميع الحاضرين، فبدأ الشيخ خطابه برفض التجنيد وذلك لعدة أسباب حسب رأيه أهمها أن الموافقة على التجنيد يعني أن الجزائريين بصفة تلقائية لم يصبحوا مسلمين لأنهم ممكن أن يقاتلوا إخوانهم المسلمين، فهم أيضا لا يستطيعون ممارسة شعائرهم الدينية بحرية وهم في حرب مثل الصلاة والصوم، وقبولهم للتجنيد يعني القضاء على القومية الاسلامية واندماجهم في الأمة الفرنسية بصفة نهائية، وحدثت بعض الفوضى بسبب أولئك الذين أرادوا تمرير مشروع التجنيد من المتفرنسين الداعين لسياسة الإدماج والتجنيس، لكن الشيخ وقف لهم بالمرصاد ووصفهم بمعشر الخشب المسندة، ولما أتم الشيخ كلامه صاح جميع الحاضرين على أنهم موافقون على رأي الشيخ بما في ذلك مفتي الحنفية[1].

[1] - عمر بن قدور الجزائري، الحضارة، الأستانة- تركيا،ع 70، 8 / 8 / 1911، نقلا عن: صالح خرفي، عمر بن قدور الجزائري، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص- ص، 110- 116.

شارك الشيخ عبد الحليم بن سماية في المؤتمر الرابع عشر للمستشرقين المنعقد في الجزائر سنة 1905 وقدم محاضرة بعنوان "فلسفة الإسلام" تحدث فيها عن وضع الإسلام ومن بين الطرق التي كان يتبعها بن سماية هي مناظرته للنصارى واليهود[1] بالإضافة إلى أنه شارك في العديد من اللقاءات وتواصل مع العديد من العلماء سواء في القطر الجزائري أو خارجه، حيث يروي لنا الشيخ محمد الخضر حسين أنه زار الجزائر سنة 1904 فيقول أنه إلتقى بالعديد من علماء القطر الجزائري خلال رحلته من تونس إلى الجزائر العاصمة مرّ من خلالها بالعديد من المدن الجزائرية تواصل فيها مع علمائها إلى غاية وصوله إلى العاصمة، وهناك إلتقى بالعديد من علمائها أمثال عبد القادر المجاوي ومصطفى خوجة، وكانت له العديد من الاجتماعات معهم سواء كان لقاءا فرديا أو جماعيا من خلال سهرات ليلية تناولوا فيها العديد من المسائل الفقهية وتناقشوا فيها، سنذكر منها اللقاءات التي جمعته بالشيخ بن سماية أو التجمعات التي حضر فيها فقط خارج الجامع لأننا ذكرناه في عنصر التدريس في الجامع، وأعجب الشيخ محمد الخضر حسين كثيرا بعلم بن سماية حيث وصفه بالعالم الرباني صافي السريرة ذو أسلوب متمكن في الخطابة.

في اليوم الثاني من زيارة الشيخ محمد الخضر للجزائر دعاه الشيخ بن سماية إلى منزله و تناقشا في العديد من القضايا الدينية والتربوية لمدة ستة ساعات، من بينها حول خصال المدرس كيف يكون مدرسا ناجحا بالنقد والتحليل وليس مجرد ناقل للمعلومات هكذا كانت رؤية الشيخين للمدرس الناجح، تناولا كذلك الكثير من المسائل الفقهية وأبدى كل عالم رأيه فيها، ، واجتمع أيضا الشيخ بن سماية مع جماعة من العلماء بمناسبة زيارة محمد الخضر حسين في منزل مصطفى بن الأكحل وحضر هذه المأدبة عبد القادر المجاوي ومحمد بن مصطفى خوجة والشيخ بوقندورة، وشهد هذا المجمع العلمي طرح العديد مسائل الدينية والفقهية تناقشوا فيها بالأدلة والبراهين لكل عالم منهم رأي فيها منها مسألة الحلف واشتراط الولي في عقد النكاح بالنسبة للمرأة[2].

4-النشاط الإصلاحي للشيخ من خلال كتاباته في الجرائد والكتب:

[1] - عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج4، المصدر السابق، ص 411.

[2] - محمد الخضر حسين و آخرون، المصدر السابق، ص- ص، 36- 40.

يبدو لنا أن بن سماية قد استأثرت به مهنة التعليم حيث ركز أغلب جهوده على تعليم أجيال ولم يهتم كثيرا بتأليف لكنه ترك لنا بعض من أثاره ولو أنها قليلة منها:

4 – 1 : كتاباته في مجال الصحافة : للشيخ عبد الحليم بن سماية العديد من المقالات في الصحف الجزائرية، منها مقالات أدبية واجتماعية دونها بإسمه الحقيقي أو بأسماء مستعارة تحمل توقيعه نظرا لظروف تلك الفترة، فله العديد من المقالات بجريدة كوكب إفريقيا من بينها مقالة كتبها سنة 1911 حيث تتجلى لنا في هذه المقالة سعيه إلى التجديد والتحرر وذلك في رده على سؤال ورد إليه في الجريدة حيث كتب الشيخ مقالتين بعنوان الفرق بين الصوفية والمتصوفة تحدث في المقالة الأولى على التصوف وهذه بعض المقتطفات من مقالته "التصوف هو التخلق بالأخلاق والتحقق بها حتى تكون حلا للنفس لا مجرد حكاية" حيث هاجم المتصوفين في هذه المقالة في جزئها الأول،[1]وفي المقالة الثانية تحدث حول الصوفية حيث وصفهم أنهم قوم نفعوا وانتفعوا إذ علموا وتخلقوا بالأخلاق الحميدة لذلك صفوا من الأخلاق الذميمة لذلك سموا بالصوفية وأنهم " علماء الحقيقة فهم ما جالسوا إلا أنسوا وما أرشدوا إلا هدوا وما عملوا إلا أخلصوا"[2].

وكتب أيضا في جريدة المغرب 1903– 1904 التي فتحت أيديها للنخب المثقفة الجزائرية للكتابة فيها من بينهم الشيخ بن سماية الذي كتب فيها سلسلة من المقالات بعنوان "القوة الجاذبية" تحدث في هذه المقالات عن فضل العلم وضرورة الاهتمام به للنهوض بالأمة وحارب الأطراف التي تدعوا لعدم الاهتمام بالعلم، وأن فيه مضرة وإفساد للعقل حيث استشهد بالقرآن والسنة والأبيات الشعرية التي تدعوا للعلم والعمل وعدم الكسل،[3] وكتب أيضا في جريدة المبشر[4]وكتب في جريدة الإقدام للأمير خالد التي لديه فيها عدة مقالات إفتتاحية سياسية واجتماعية وفي الأخلاق، ويذكر عبد الرحمن الجيلالي أن أستاذه له العديد من المقالات في الصحف التونسية مثل جريدتي الوزير

[1] - عبد الحليم بن سماية، الفرق بين الصوفية والمتصوفة، كوكب افريقيا، 10 مارس 1911،

[2] - عبد الحليم بن سماية، الفرق بين الصوفية والمتصوفة، كوكب افريقيا، 17 مارس 1911.

[3] - عبد الحليم بن سماية، القوة الجاذبية، جريدة المغرب، السنة الأولى، ع1، 10 أفريل 1903. أيضا: ع2، 14 أفريل1903.

[4] - محمد ناصر، الصحف العربية الجزائرية من 1847 إلى 1939، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980، ص- ص، 25- 26.

والمشير،[1] وخلال زيارة محمد الخضر أطلعه بن سماية على صدر مقالة أعجب بها كثيرا فوصفها بفصيحة المباني شريفة الموضوع كثيرا، وطلب منه إرسالها له ليتم نشرها في جريدة السعادة العظمى، ولكن لا نعرف إن كان الشيخ بن سماية بعث بهذه المقالة كما طلب منه إرسال مقالات أخرى ليتم نشرها لكي يتعرف العالم الإسلامي على فكر وأسلوب الشيخ بن سماية في الكتابة[2].

وقد ركز بن سماية على شيئين في دعوته الإصلاحية إذا تسمك بهما المجتمع فسيكون التطور حليفهم أولا الاهتمام بالتربية خاصة تربية الأولاد بإعتبارهم الجيل الصاعد حيث نجده يحث الأولياء على متابعة أولادهم وذلك بجعل حصة من الزمان يتمكن فيها الولي من محادثة أولاده ويقول في هذا الشأن " العاقل للعاقل لا محادثة إحتقار كما يفعله كثير من الكبار لأن ذلك مميت لقرايتهم وموقف لتقدمهم " وينصح الأب بالاستماع لانشغالاتهم وذلك من أجل شرح صدورهم ويذكرهم بفضل السلوك الحسن لأنه بذلك يساهم في تطور شخصيتهم بهذه المعاملة والمتابعة باللطف واللين والنصح تنتج فردا صالحا أما من إتخذ الضرب بعصا طريقا لتربية فإن طفل سيزداد خشونة مما يؤدي فيما بعد إلى نتائج وخيمة لذلك طالب بن سماية معاملة الأطفال بلطف ومتابعتهم لأن ذلك سيؤدي إلى إنتاج جيل صالح مما ينعكس على صلاح المجتمع برمته وثانيا الإهتمام بالعلم والعمل لأنه أساس تطور المجتمعات وبالاعتماد على هذين العنصرين سيتمكن المجتمع الجزائري من الخروج من سباته وجهله ويتخلص من البدع والخرافات والآفات الاجتماعية التي لصقت به[3].

4 – 2 : كتب الشيخ بن سماية: لم يترك لنا بن سماية مؤلفات كثيرة نظرا لتفرغه الدائم لمهنة التدريس في المدرسة والجامع، حيث كان يكرس كل وقته لتكوين الأجيال القادمة، لكنه استطاع بفضل حسن إدارته للوقت وتنظيمه أن يترك لنا بعض المؤلفات ولو كانت قليلة، إلا أنها مفيدة منها من بقي ومنها من إندثر بفعل العديد من العوامل نذكرها هاته المؤلفات: مخطوط يوجد بالمكتبة الوطنية بالحامة عنوانه شرح الشيخ عبد الحليم بن

[1] - عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج4، المصدر السابق، ص 416.

[2] - محمد الخضر حسين و آخرون، المصدر السابق، ص 37.

[3] - عبد الحليم بن سماية، القوة الجاذبية، جريدة المغرب، السنة الأولى، ع 04، 21 أفريل 1903.

سماية على مفهومة الشيخ المكي بن عزوز يتكون من 52 صفحة،[1] ويذكر لنا عبد الرحمان الجيلالي أحد تلاميذ الشيخ بعض مؤلفات أستاذه منها رسالة في أحكام الربا كتبها ليرد على بعض العلماء الذين حللوا الربا في بعض الجرائد وهي تحت عنوان " إهتزاز الأطواد والربى من مسألة تحليل الربا "، وهي رسالة مطبوعة سنة 1911 تناول فيها أصول باب الربا وفروعه، كما دعا فيها علماء الاسلام قاطبة إلى تحمل مسؤولياتهم في مسائل الفتوى وعدم إنسياقهم وراء الضغوطات،[2]وله أيضا كتاب حول " فلسفة الاسلام " الذي قدمه في مؤتمر الرابع عشر للمستشرقين المنعقد بالجزائر سنة 1905 حيث يقول عنه عمر راسم "ولما فيه من الحقائق النيرة لم ترض الحكومة بطبعه"[3].

ويذكر بعض تلاميذه أنهم كانوا يعرضون عليه بعض الشبهات التي كان يطرحها عليهم أساتذتهم في قسم الفلسفة بالكلية الجزائرية، فكان يرد عليهم بالأدلة والبراهين، وخلال تلك الفترة قام بتأليف رسالة جليلة في التوحيد والرد على شبه الملحدين،[4] وله كتاب لم يكتمل في شرح الأحاديث القضائية تحدث عنه عبد الرحمن الجيلالي أن شيخه بدأ في شرح الأحاديث بدون أوراق في عدة مجالس وهم يدونون تلك الشروحات على أن يكون تأليف مستقل لكنه إنقطع بسبب عدة مشاكل واجهته، كما نشرت للشيخ رسالة صغيرة الحجم بعنوان "الكنز المدفون والسر المكنون" طبعت بالجزائر على نفقة بعض الأفاضل، هاجم فيها الشيخ المتصوفين والطرقين المضللين فلم يعجب ذلك رجال الطرق وخاصة منهم التيجانية[5] المتعاونة مع الفرنسيين فحذروا في كتبهم ومجالسهم من

[1] - عبد الحليم بن سماية، شرح الشيخ عبد الحليم بن سماية على مفهومة الشيخ المكي بن عزوز، مخطوط، المكتبة الوطنية الجزائرية.

[2] - عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج4، المصدر السابق، ص- ص، 415- 416.

[3] - محمد علي دبوز، المرجع السابق، ص 124.

[4] - مجلة التلميذ، صفحة من حياة شهيد العلم، المصدر السابق، ص13.

[5] - وبخلاف رأي عبد الرحمن الجيلالي الذي يقول أن الشيخ ألف رسالة ضد التجانية فتوجد العديد من المصادر التي تقول أن الشيخ عبد الحليم بن سماية كان تجاني الطريقة ولكن ليس التجانية التي دعمت الاستعمار بل إنه لم يكن متعصبا لهذه الطريقة لأنه كانوا يدعوا إلى التجديد والإصلاح ومؤمن بمبادئ محمد عبده فهل يمكن أن الشيخ تخلى على هذه الطريقة نهائيا لذلك قام بتأليف هذه الرسالة.

مطالعتها بل سعوا إلى مصادرة جميع النسخ التي وقعت عليها أيديهم فأحرقوها لأنها كانت تضر بمصالحهم التي اكتسبوها[1].

5- موقفه من الجامعة الاسلامية و زيارة محمد عبده :

الجامعة الاسلامية هي حركة تدعو إلى التضامن بين المسلمين من أجل تحقيق الوحدة والقوة لصد التوسع الأوربي في المناطق الاسلامية، أما وسائلها فتقوم على الإصلاح الديني والاجتماعي والعودة إلى مذهب السلف بتمجيد العقل، ظهرت في الربع الأخير من القرن التاسع عشر من زعمائها جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده ومحمد رشيد رضا وآخرون، أما على المستوى السياسي فقد تبنى هذه الحركة السلطان العثماني عبد الحميد الثاني[2]. يعتبر الشيخ عبد الحليم بن سماية من أكبر المتأثرين بفكر الجامعة الاسلامية والمتبنين لمبادئها في الجزائر رفقة مصطفى بن خوجة، حيث كان يدعو الجزائريين إلى التجديد والإصلاح من أجل النهوض بالأمة الجزائرية بصفة خاصة والعالم الإسلامي بصفة عامة، كما أنه من أشد المعجبين بأحد زعمائها ألا وهو محمد عبده حتى أنه كان يدرس كتبه في مناهجه التعليمية في المساجد، ومواظبا على قراءة جريدة المنار لصاحبها محمد رشيد رضا وهي لسان حال الجامعة الاسلامية حتى أنه طلب من محمد عبده عند زيارته للجزائر أن لا تسب جريدة المنار فرنسا لكي لا تمنع وصولها إليهم، ويعتبر الشيخ أول من درس رسالة التوحيد للشيخ محمد عبده في الجزائر تطبيقا لمنهجه التجديدي، ويعتبر من الأوائل الذين استقبلوا محمد عبده عند زيارته للجزائر ولازمه طوال أيام إقامته في الجزائر إلى أن غادرها متوجها نحو تونس[3].

وقد أعجب محمد عبده بعلم وأخلاق الشيخ بن سماية حيث بعث إليه رسالة وهو في مدينة بلرم (باليرمو) يشكره على حفاوته، ويحثه على مواصلة إصلاح مجتمعه وهاته مقتطفات من الرسالة " حضرة الأستاذ الفاضل الشيخ عبد الحليم بن سماية حفظه الله لا يزال يؤنسني مثال من علمك وفضلك .... ولو كشفت لك من نفسك ما كشف لي منها لعلمت مقدار ما أتاك الله من نعمة العقل وأدب، ولعرفت أنك ستكون إمام قومك،

---

[1] - عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج4، المصدر السابق، ص 417.

[2] - أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية 1900– 1930، ج2، ط 4، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1992، ص 109.

[3] - عبد الرحمان الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج4، المصدر السابق، ص 407.

تهديهم إن شاء الله إلى سبل الرشاد ..." ويحثه كذلك على الاستعانة بالعلماء الأخرين أمثال مصطفى بن خوجة ومفتي الحنفية ومحاولة إصلاح المجتمع بطرق سلسة، كما دعاه في آخر الرسالة إلى عدم الخوض في المسائل السياسية التي ستقوده إلى السجون، وبذلك ينطفئ نوره على شعبه الذي هو بأمس الحاجة إليه " فأني لا أجد مندوحة عن التصريح بالتحذير من النظر في سياسة الحكومة، أو غيرها من الحكومات ومن الكلام في ذلك فإن هذا الموضوع كبير الخطر قريب الضرر إنما الناس محتاجون إلى نور العلم والصدق في العمل والجد في السعي"[1].

وفي إطار ذلك التواصل بين العالمين بعث الشيخ عبد الحليم بن سماية بقصيدة شعرية يمدح فيها الشيخ محمد عبده تتكون من خمسين بيت، نشر بعضا منها الشيخ محمد رشيد رضا في جريدته المنار هذه بعض الأبيات منها:

فأنت لنا شمس تنير على المدى أتى نورها من غير أن نتطلع
أدير بذكراك الذي منك قد مضى فأشرب كأسا بالصفاء مشعشعا[2]

وبعد حوالي عام من زيارة محمد عبده للجزائر بعث مفتي وهران الشيخ علي بن عبد الرحمن رسالة إلى الشيخ بن سماية يستطلعه فيها أن يكشف له عن رأيه في شخصية وعلم محمد عبده فبعث بن سماية رسالة إلى مفتي وهران يكشف فيها عن رأيه في هذه الشخصية، حيث وصفه في هذه الرسالة بالرجل بصاحب الحنكة وتجارب الزمان والمطلع على شؤون الأمم والمتدبر والمتمسك بحبل الله في القرآن، كما أنه يتميز بقوة الإقناع وحججه القوية المستمدة من القرآن والسنة، كما يعترف بفضله على الإسلام والمسلمين وسعيه الدائم على حث الشعوب الإسلامية نحو التقدم والرقي والمجد ومنافسة الدول الكافرة فيبدو أن بن سماية من أشد المتأثرين بشخصية وفكر محمد عبده لأنه يحمل نفس أفكاره الداعية للتجديد والتقدم[3].

6 - مرض الشيخ بن سماية ووفاته :

[1] - محمد رشيد رضا، تاريخ الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده 1849– 1905، ج2، ط2، دار الفضيلة، القاهرة، 2006، ص- ص، 617- 618.

[2] - محمد رشيد رضا، قصيدة عالم جزائري في الأستاذ الإمام، مجلة المنار، السنة السادسة، مج 6، ج23، 1904، ص- ص، 917- 918.

[3] - عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج4، المصدر السابق، ص- ص، 414- 415.

لقد عاش الشيخ بن سماية طورين في حياته طور الأول هو طور العطاء وتربية الأجيال، والطور الثاني عاشه في آخر عمره حيث أصيب بمرض عقلي وراثي سنة 1924 سببه حماسه الشديد وكره الدفين للإستعمار وجهاده العلمي الذي أرهقه عقليا، لأنه كان يحمل هم أمة في قلبه ويتحسر على ما يحدث للجزائريين والمسلمين، وشفي الشيخ في البداية من هذا المرض لكن ما لبث أن عاد إليه المرض من جديد سنة 1928 فأحيل على التقاعد وأعفته الثعالبية من التدريس،[1] فأصبح الشيخ غير مبالي بنفسه ولا يلتفت إلى مظهره وسلوكه وحياته اليومية، فإتخذ لمركبه حصانا وسيفا وأخذ يتجول ما بين أرباض العاصمة وأحيائها[2].

وفي أواخر سنة 1932 وبحلول شهر رمضان اجتمع أهل الحامة ببلكور الواقعة بالعاصمة وتوجهوا إلى الشيخ بن سماية لكي يعقد لهم مجالس دينية ليلية في الشهر الفضيل في جامع زاوية الشيخ محمد بن عبد الرحمن الأزهري، ويكون زمن الدرس بين العشائين فوافق الشيخ على طلبهم وشرع في تدريس رسالة أبي زيد القيرواني من أول رمضان وذلك لمدة أربعة أيام، وفي اليوم الخامس أتى الشيخ كعادته ليقدم الدرس وفي أثناء ذلك شعر الشيخ بفتور فإلتف حوله عامة الناس وأسعفوه وأخذوه إلى منزله، وما إن رجعوا من منزله حتى توفي الشيخ وذلك ليلة الخميس يوم 2 جانفي 1933 الموافق ل 5 رمضان 1351 ودفن في مقبرة الشيخ عبد الرحمن الثعالبي،[3] وتأثرت العديد من الشخصيات بموت الشيخ بن سماية منها الشيخ عبد الحميد بن باديس الذي رثاه في مجلة الشهاب حيث قال عنه أنه " عالم عامل، غيور على دينه ووطنه مخلصا لهما، قضى حياته مدرسا بالمدرسة الثعالبية، فبث روحا طيبة فيمن اتصلوا به من تلامذتها معظما محترما عند زملائه فيها وعند رؤسائها، فرحمه الله وجازاه عن العلم وخدمته واحترامه والاعتزاز به خيرا وعزى أهله وأهل العلم فيه خير العزاء "[4]، بالإضافة إلى ذلك بعث تلميذه في المغرب الأقصى أحمد بن محمد التيجاني رسالة تعزية نشرت في مجلة

[1] - نفسه، ص 126.

[2] - عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، المصدر السابق، ص 417.

[3] - عبد الرحمن الجيلالي، جوانب من كفاح عبد الحليم بن سماية، المقالة السابقة، ص- ص، 211-212.

[4] - وفيات، مجلة الشهاب، مج 9 ، ج2 ، المطبعة الجزائرية الاسلامية ، قسنطينة ، فيفري 1933 ، ص 117.

التلميذ تحت عنوان " دمعة على فقيد الجزائر المسلمة "حيث وصفه تلميذه بعالم الاتقياء وتقي العلماء، كما ذكر في هذه الرسالة مناقب الشيخ من جهاده في الاصلاح وقوة فصاحته وبلاغته وجهاده في سبيل نشر العلم[1].

خاتمة :

في الأخير و ما يمكننا أن نستخلصه من منهج الشيخ :

-أن بن سماية قضى حياته كاملة في التعليم أربعين سنة في التدريس، وركز كل جهوده في محاولة تنشئة أجيال، بحيث كان هدفه بناء جيل قادر على تحرير الجزائر فيما بعد كما لم يهمل كبار السن حيث كان يقدم دروس الوعظ والارشاد في المساجد والتجمعات.

-اعتمد منهج بن سماية على الجانب التطبيقي بحيث كان يحاول تطبيق مناهجه قدر المستطاع لتوصيل الأفكار لتلاميذه مثل دروس الموسيقى حيث كان يجلب معه الآلات الموسيقية .

-يعتبر بن سماية من المصلحين الأوائل الذين قاموا بإثراء المناهج التعليمية وتجديدها في المدرسة والمسجد حيث أدخل العديد من الكتب الجديدة ذات القيمة العلمية والمعترف بها فدرس دلال الإعجاز وأصرار البلاغة والعديد من الكتب الأخرى الجديدة، والتي أتت بثمارها فيما بعد فإنتشر تلاميذه في العمالات الجزائرية الثلاث أو حتى في أقطار شمال افريقيا .

-تبنى الشيخ بن سماية فكر الجامعة الاسلامية الداعي إلى التجديد والنهوض بالعالم الإسلامي، ويعتبر من أكبر الدعاة إليها في الجزائر كما استقبل أحد زعمائها الشيخ محمد عبده بحفاوة .

- يعتبر الشيخ من زعماء النخب التقليدية المصلحة في الجزائر برفقة عبد القادر المجاوي و المولود بن الموهوب الذين تبنوا إصلاح المجتمع وتربيته ودعوته إلى العلم والعمل و التجديد على الطريقة الاسلامية الصحيحة والبعد عن الآفات الاجتماعية والبدع والخرافات.

[1] - أحمد بن محمد التجاني، دمعة على فقيد الجزائر المسلمة، المصدر السابق، مجلة التلميذ، ص-ص، 13– 17.

ISSN : 2353-0472
EISSN : 2600-6405

-حارب الطرق الصوفية الضالة التي كانت تنشر البدع والخرافات، ودعاهم للعودة إلى منهج الإسلام الصحيح فقد نشر العديد من المقالات يهاجم الطرقيين منها مقاله في جريدة كوكب إفريقيا أو كتابه التي أتلف من طرف أتباع الطريقة التيجانية.